المحاضرة العاشرة: العمليات الأساسية في المنهج العلمي في العلوم الإنسانية و الاجتماعية

الأهداف التدريسية :

- تعميق معارف الطالب حول مختلف العمليات الأساسية في المنهج العلمي في العلوم الإنسانية و الاجتماعية.

المحتويات :

1. الاستقراء
2. الاستنباط
3. التصنيف
4. التفسير
5. الفهم
6. التجريد
7. التحليل و التركيب
8. الوصف
9. التجريب
10. أسئلة للمناقشة

يُعرف المنهج العلمي بوصفه مجموع الاجراءات المنظمة التي يصممها الباحث و يطبقها سعيا لبلوغ نتائج حول جوانب محددة ، اذ يُعتبر الآلية التي تُؤطر الجهد البحثي للباحث الذي يقوم بسلسلة من العمليات الأساسية التي تتيح له تحقيق الأهداف المرجوة من البحث ، و من بين هذه العمليات ، التي يمكن أن تختلف باختلاف الظاهرة محل البحث و المنهج المعتمد في بحثها، نذكر:

1. الاستقراء: "استدلال مستمد من ملاحظة وقائع خاصة بهدف استخلاص افتراضات عامة" فهو عبارة عن ذلك الاستدلال التصاعدي الذي ينطلق فيه الباحث من دراسته لظاهرة معينة من الجزء وصولا إلى الكل، ومن الخاص إلى العام.
2. الاستنباط:" استدلال مستمد من افتراضات عامة بغية التحقق من صحتها في الواقع ، حيث ترى أطروحة الاستنباط بأن العلاقات الممكنة بين الظواهر ما هي إلا بناءات فكرية يمكن التحقق منها في الواقع.
3. التصنيف: إن العلم لا يكتفي بوصف المواضيع والظواهر؛ بل يبحث أيضا عن تصنيفها وترتيبها، وللقيام بذلك، يقوم باختصارها واختزالها في بعض الفئات من العناصر وذلك بتجميعها حسب بعض المقاييس، ومدى ملاءمتها، ذلك أن بعض المواضيع تتميز بالتقارب أو التشابه إذا ما قيس بمواضيع وظواهر أخرى، ويحدد التصنيف إذن بأنه تجميع أشياء أو ظواهر انطلاقا من مقياس واحد أو عدة مقاييس.
4. التفسير: إن العلم لا يتوقف عن وصف وتصنيف المواضيع والظواهر الملاحظة؛ وفي الواقع هو يسعى إلى تفسيرها، و يعتبر التفسير الهدف الجوهري للبحث العلمي حسب الرؤية الوضعية. يتم في إطاره دراسة العلاقات السببية القائمة بين الظواهر، أي تلك العلاقة التي تجعل إحدى الظواهر سببا في وجود ظاهرة أخرى أو عاملا رئيسيا في حدوثها. و عليه تعتبر عملية التفسير في مجال تخصصنا دراسة الظاهرة الانسانية على أساس العلاقات السببية التي يمكن أن تربط بين المتغيرات المستقلة و المتغيرات التابعة فيها "ضمن رؤية علمية تجريبية بغية استصدار القوانين و النظريات"
5. الفهم: يقصد بالفهم اكتشاف طبيعة ظاهرة إنسانية مع الأخذ بعين الاعتبار المعاني المعطاة من طرف الأشخاص محل البحث ، وبالتالي فالفهم يأخذ بعين الاعتبار الواقع المعاش للأشخاص موضوع البحث. و عليه تُعرف عملية الفهم باعتبارها " الاحاطة بدلالة النشاط الانساني و معناه و الهدف منه ، و هذا يعني أن الفهم هو رصد المعاني الحقيقية لسلوكيات الأفراد في المحيط الاجتماعي الذي ينتمون إليه و استجلاء معاني هذه السلوكيات و التعرف عن كثب على الأهداف المرجوة منها و الغايات التي يرمي هؤلاء لأفراد بلوغها عن طريق ما يطورونه من سلوكيات اعتمادا على التأويل. و بهذا يُعتبر الفهم فعل معرفي مباشر يستهدف

إدراك الأفعال الانسانية عن طريق تأويلها . و يُعرف دلتاي الفهم باعتباره تلك "السيرورة التي نعرف من خلالها ما هو باطني اعتمادا على علامات حسية تعتبر تجليا و مظهرا له ندركها من الخارج عن طريق حواسنا"

6. التجريد: هو عملية "تحويل خصائص الظواهر و الأشياء إلى أفكار و مفاهيم ذهنية تُدرك بالعقل لا بالحواس"(أبراش،ص40) فالمعرفة يُستهل تحصيلها اعتمادا على الملاحظة الحسية ، ليتم استنباط خصائص الأشياء و الوقائع محل الملاحظة من خلال الملاحظة العلمية مثلا أو التجربة لتتحول إلى أفكار و مفاهيم ذهنية .
7. التحليل والتركيب: يقوم التفكير العلمي على تحليل الظاهرة إلى أبسط العناصر بهدف فهمها ومعرفة العلاقات القائمة بينها. أما التركيب، فهو عملية مكملة لعملية التحليل؛ فبواسطة التحليل يتمكن الباحث من التعرف على البسائط التي تتكون منها الظاهرة والعلاقات التي ترتبط بينها، كما يستطيع الباحث إعادة تركيب العناصر البسيطة الموجودة في الظاهرة ، وذلك بعد مراجعة التحليل السابق والتثبت من صحته.
8. الوصف: من أهم العمليات الأساسية التي يقوم عليها العلم بصفة عامة والمنهج العلمي بصفة خاصة و هو "تمثيل مفصل وصادق عن موضوع أو ظاهرة ما" و يُعتبر الوصف واحدا من أبرز أهداف البحث العلمي و يعني تقديم صورة مفصلة حول واقع الظاهرة محل البحث و ما يميزها من خصائص كما هي موجودة في محيطها الطبيعي الذي تنتمي إليه.
9. التجريب: إن التجريب تقنية مباشرة لجمع البيانات. إن التجريب ليس منتشرا في العلوم الإنسانية بمثل ما هو عليه في علوم الطبيعة نظرا إلى صعوبة قابلية موضوع الأولى للتجريب؛ غير أنه يستعمل عندما نريد القيام بتحليل العلاقة بين السبب والنتيجة، ذلك لأنه يسمح بفحص تأثير المتغير المستقل في المتغير التابع بصفة أكثر واقعية، فإنه يسمح بفحص رد الفعل على المحفز، عندما تكون المفاهيم الأساسية الموجودة في الفرضية قابلة للتحول إلى متغيرات يمكن قياسها؛ فالتجريب إذن هو تقنية مباشرة للتقصي العلمي عادة ما تستعمل تجاه الأفراد في إطار التجربة التي تتم بكيفية موجهة، والتي تسمح بسحب عينة كمية بغرض تفسير الظواهر والتنبؤ الإحصائي بها.

أسئلة للمناقشة :

- عرف الاستقراء و الاستنباط و حدد الفرق بيتهما؟.
- عرف الفهم و التفسير و حدد الفرق بينهما؟
- عرف التحليل و التركيب و حدد الفرق بينهما؟
- تتبع عملية التجريب عمليات مكملة أذكرها.